

الملاحظات

عندما تسلّم نابليون الثالث اللوح الأول الذي أنزله حضرة بهاء الله له، والذي أرسل عندما كان حضرته في أدرنة، كان ردّ فعله وقحاً متغطرساً إذ يروى بأنه رمى اللوح جانباً وقال: 'إذا كان هذا الرجل هو إله، فإني إلهان!' أما اللوح الثاني لنابليون (بالعربية) فأرسل إليه سنة ١٨٦٩م، بعد استلام حضرة بهاء الله رسالة من أحد وزراء الإمبراطور تفيد بأنه حتى ذلك الحين لم يصدر جواب بعد على لوحه الأول. خلافاً للأخير، والذي كُتب بلهجة لينة، فإن هذا اللوح قد نزل بلسان الجلال والكبرياء، ويعلن صاحبه بجلاء وبلهجة من له سلطان رفيع بأنه ليس إلا مالك الملوك. هذا وإن مطلع اللوح وحده كاف ليعطي القارئ لمحة عن عظمة بيان حضرة بهاء الله:

"قل يا ملك الباريس نبأ القسيس بأن لا يدق النواقيس تالله الحقّ قد ظهر الناقوس الأفخم على هيكل الاسم الأعظم وتدّقه أصابع مشيّة ربك العلي الأعلى في جبروت البقاء باسمه الأبهي... أن يا ملك أن استمع النداء من هذه النار المشتعلة من هذه الشجرة الخضراء في هذا الطور المرتفع على البقعة المقدسة البيضاء خلف قلزم البقاء إنه لا إله إلا أنا الغفور الرحيم."

يتنبأ حضرة بهاء الله في هذا اللوح بسقوط ناپليون، مبيناً سبب ذلك، ويصرح بأن نهايته حتمية ما لم يتدارك ما فات عنه ويقوم على خدمة أمره.

إن الفقرات التالية المختارة من اللوح تطلع القارئ على هيمنة بيان حضرة بهاء الله في توبيخ أحد أقوى ملوك زمانه:

"أن يا ملك إننا سمعنا منك كلمة تكلمت بها إذ سألك ملك الروس عما قُضي من حكم الغزا¹ إن ربك لهو العليم الخبير، قُلتَ: كنتُ راقداً في المهاد أيقظني نداء العباد الذين ظلموا إلى أن غرقوا في البحر الأسود، كذلك سمعنا وربك على ما أقول شهيد، نشهد بأنك ما أيقظك النداء بل الهوى لأننا بلوناك وجدناك في معزلٍ أن اعرف لحن القول وكن من المتفرسين... لو كنتَ صاحب الكلمة ما نبذتَ كتاب الله وراء ظهرك إذ أرسل إليك من لدن عزيز حكيم، إننا بلوناك ما وجدناك على ما ادّعتِ قم وتدارك ما فات عنك سوف تفنى الدنيا وما عندك ويبقى المُلْك لله ربك ورب آباءك الأولين، لا ينبغي لك أن تقتصر الأمور على ما تهوى به هواك اتق زفرات المظلوم أن احفظه من سهام الظالمين، بما فعلتَ تختلف الأمور في مملكتك وتُخرج المُلْك من كفك جزاء عمك إذاً تجد نفسك في

¹ حرب القرم

خسران مبین، وتأخذ الزلازل كل القبائل في هناك إلا بأن تقوم على نصره هذا الأمر وتتبع الروح² في هذا السبيل المستقيم، أعزك غرك لعمري إنه لا يدوم وسوف يزول إلا بأن تتمسك بهذا الحبل المتين، قد نرى الذلة تسعى عن ورائك وأنت من الراقدين... دع القصور لأهل القبور والمُلك لمن أراد ثم أقبل إلى الملكوت، هذا ما اختاره الله لك لو أنت من المقبلين... لو تحب أن تحمل ثقل المُلك أن احمله لنصرة أمر ربك، تعالى هذا المقام الذي من فاز به فاز بكل الخير من لدن عليم حكيم... هل تفرح بما عندك من الزخارف بعد الذي تعلم أنها ستفنى أو تستر بما تحكم على شبر من الأرض بعد الذي كلها لم يكن عند أهل البهاء إلا كسواد عين نملة ميتة دعها لأهلها ثم أقبل إلى مقصود العالمين، أين أهل الغرور وقصورهم فانظر في قبورهم لتعتبر بما جعلناها عبرة للناظرين، لو تأخذك نفحات الوحي لتفر من المُلك مقبلاً إلى الملكوت وتنفق ما عندك للتقرب إلى هذا المنظر الكريم." (٣)

في سنة ١٨٧٠م، أي بعد بضعة أشهر فقط من نزول هذا اللوح، تحققت نبؤات حضرة بهاء الله ولقي الإمبراطور نهايته.

² حضرة المسيح

في كتاب "قد أتى اليوم الموعود" كتب حضرة شوقي أفندي عرضاً وجيزاً لهذا،
فيما يلي ترجمته (عن الإنكليزية):

لقد انكشفت دلالات الكلمات الرهيبة المفعمة بالمعاني والتي نطق بها حضرة
بهاء الله في لوحه الثاني، انكشفت دلالاتها سريعاً. فالذي حرّكته أهواؤه الأنانية
لإثارة حرب القرم، مدفوعاً بضغينة ضد إمبراطور روسيا، وكان متلهفاً لتمزيق
معاهدة ١٨١٥م من أجل الثأر لكارثة موسكو، وبقصد تزيين عرشه بنصر عسكري،
وجد نفسه متورطاً بكارثة هوت به على التراب، وجعلت فرنسا تهبط من مكانتها
الرفيعة بين الأمم إلى دولة من الدرجة الرابعة في أوروبا.

جاءت معركة سيدان في عام ١٨٧٠م خاتمة لمصير الإمبراطور الفرنسي. فقد
تمزق جيشه بكامله واستسلم، مسجلاً بذلك أضخم استسلام عُرف حتى ذلك
الوقت في العصر الحديث. فُرضت (على فرنسا) تعويضات مالية ماحقة نتيجة
ذلك. أخذ نفسه أسيراً. وابنه الوحيد، الأمير الإمبراطوري، قُتل بعد ذلك ببضع
سنين في حرب الزولو. وانهارت إمبراطوريته دون تحقيق أهداف برامجها. وأعلنت
الجمهورية إثر ذلك. أعقب ذلك حصار باريس ثم استسلامها. تلا ذلك "العام
الفظيع" الذي عمّت فيه الحرب الأهلية بنحو من الشراسة فاق الحرب الفرنسية
الألمانية نفسها. ثم أعلن ويلهلم الأول ملك بروسيا، إمبراطوراً لألمانيا في القصر

نفسه الذي أقيم "صرحاً تذكاريًا عظيمًا ورمزاً لقوة وفخر لويس الرابع عشر، وهي قوة كانت إلى حد ما قد اكتسبت على حساب مذلة ألمانيا". لقد عانى هذا الملك الأجوف المتباهي الذي "ترددت أصدااء سقوطه بتلك الشناعة في أرجاء العالم كله" عانى في النهاية، وحتى مماته، النفي نفسه الذي، كما في حالة حضرة بهاء الله، لم يعبأ به وتجاهله بكل جمودة قلب.

أرسل لوح حضرة بهاء الله إلى نابليون بواسطة شخص تمكن من إخراجه من السجن بإخفائه تحت قبعته خشية اكتشافه من قبل الحراس. سلم اللوح بعد ذلك إلى وكيل القنصلية الفرنسية^{(١)٣} بعكاء والذي قام بترجمته إلى الفرنسية وإرساله إلى الإمبراطور. وكان لقراءة اللوح المنزل بتلك اللغة الفخمة البليغة، والمتضمن مثل تلك الإنذارات إلى الإمبراطور، أثر عميق في نفس ابن وكيل القنصلية والذي أصبح من المؤمنين عندما رأى لشدة دهشته تحقق نبؤات حضرة بهاء الله في ظرف زمن قصير. بالنسبة للذين اعتنقوا أمر حضرة بهاء الله واعترفوا بمظهره الإلهية، ليس هناك وجه مقارنة بين كلماته -التي هي كلمات الله- وكتابات البشر. بل في الحقيقة لا يمكن القياس بين الاثنين. فبالإضافة لكون كلماته خلاقة، وتنفذ إلى أعماق القلوب وتقلب المجتمع الإنساني إلى الأفضل، فهي على المستوى الأدبي وحده نجدها لا تتبع دائماً النمط المنطقي الذي ابتدعته عقول البشر. إن الكاتب الملتزم بمهنته عادة

³ لويس كتافاجو، عربي مسيحي.

يعالج كل موضوع على حدة، بانياً الفكر خطوة خطوة بنحو منطقي. وهو لا يأتي بموضوع غير مناسب لفكرته في وسط البحث. لكن كلمة الوحي الإلهي لا تنزل من عند الله وفق نمط تفكير الإنسان ومنطقه. فهي مقدسة عن حدودات البشر، إنها كمحيط غير محدود وليس في متناول الإنسان، محيط لا يسع إدراك الإنسان وفهمه إلا أن يأخذ قطرات قليلة من أمواجه المتلاطمة بشكل كلمات مماثلة. إلا أن فيوضاته لا تنزل أو تتبع نمطاً مما يعقله الإنسان.

في لوح ناپليون مثال على هذه الاستقلالية والبدع، حيث يلزم حضرة بهاء الله أتباعه بأحد أهم الأحكام وهو تبليغ أمره بهذه الكلمات:

"قد كتب الله لكل نفس تبليغ أمره والذي أراد ما أمر به ينبغي له أن يتّصف بالصفات الحسنة أولاً ثم يبلغ الناس لتنجذب بقوله قلوب المقبلين ومن دون ذلك لا يؤثر ذكره في أفئدة العباد..."

وينصح أحبائه كذلك:

"يا أهل البهاء سخرّوا مدائن القلوب بسيوف الحكمة والبيان. إن الذين يجادلون بأهواء أنفسهم أولئك في حجاب مبين. قل سيف الحكمة أحر من الصيف وأحد

من سيف الحديد لو كنتم من العارفين. أخرجوه باسمي وسلطاني ثم افتحوا به مدائن أفئدة الذين اعتكفوا في حصن الهوى كذلك يأمركم قلم الأبهي إذ كان جالساً تحت سيوف الغافلين. إن اطلعتم على خطيئة استروها ليستر الله عنكم إنه هو الستار ذو الفضل العظيم. يا ملأ الأغنياء إن رأيتم فقيراً لا تستكبروا عليه تفكروا فيما خلقتم منه قد خلق كل من ماء مهين.

مثال آخر هو عندما يختار حضرة بهاء الله أن يعلن، وسط لوحه لنابليون، بأن أعظم عيدين هما عيد الرضوان وعيد إعلان دعوة حضرة الباب، وبأن بعدهما يأتي عيدان آخران هما ذكرى مولده ومولد حضرة الباب. في هذا اللوح أيضاً يعلن حضرة بهاء الله عن سن حكم الصوم محدداً أمده بتسعة عشر يوماً.
هكذا هو شأن الوحي الإلهي!

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٣"